الفروق الفردية نظرة نبوية

م. د. أركان سعيد خطاب
مركز البحوث التربوية والنفسية – جامعة بغداد

الفصل الاول

أهمية البحث و الحاجة اليه

أن الناس وأن تشابهو فيما بينهم في أكثر الخصائص و الصفات وذلك بحكم الرابطة الانسانية التي تربط بينهم وتميزهم عن سائر المخلوقات ، و بحكم الثقافة والحضارة المشتركة التي يعيشون فيها _ فأنهم في الوقت نفسه يختلفون فيما بينهم في كثير من صفاتهم الموروثة و المكتسبة نتيجة لذلك العوامل الوراثية و البيئة التي يخضعون لتأثيرها منذ بداية تكوينهم ، يختلفون في أبعادهم و مستواهم وسماتهم وصفاتهم الجسمية وفي استعداداتهم وقدراتهم و ميولهم العقلية وفي نوازعهم واتجاهاتهم ودوافعهم وفي اهدافهم وفي الطرق التي يسلكونها لتحقيق اهدافهم. وهذه الاختلافات بين الناس هي ما نسميه بالفروق الفردية بينهم . واليها يرجع الفصل في جعل كل انسان يشعر بانه عالم قائم بذاته . له شخصيته المستقلة لتميزه عن غيره من الافراد ، وذلك بالرغم من اتصاله بغيره من الناس ومشاركته اياهم في حوافزه الاجتماعية ودوافعهم الفسيلوجية) (الشيباني ،١٩٨٦، ص١١٠٦)

اما على مستوى التربية و التعليم فالتلاميذ يختلفون ضمن الصف الواحد مثلا ، في القدرة و الدافاعية و الاتجاه و الشخصية و اسلوب التعليم و الجنس و العرق و الحالة الاقتصادية و الاجتماعية ، ومهما يكن فيظهر ان الصف اصبح اكثر تنوعا بدلا من ان يكون اقل تنوعا ، وقد قدمت هذه الاختلافات تحديا للمعلم كذلك للمربين عموما الذين يهدفون الى الوصول بانجاز التلميذ الى الحد الامثل وان يتعلم كل تلميذ المهارات الاساسية الضرورية للعمل في المجتمع كما قدمت هذه الاختلافات تحديا لعلماء النفس الذين يهدفون الى كشف المبادئ العامة التي تفسر وتتنبأ بسلوك الانسان . لقد ركز علماء النفس خلال السنوات الماضية على عدد كبير من ابعاد الفروق الفردية و تشير المصادر الحديثة الى الموضوعات التالية :

الذكاء القدرات الخاصة و الابداعية و الاسالسب المعرفية و التركيبات الشخصية و القيم و الاتجاهات و الميول . (الزوبعي ، ١٩٩٥ ، ص١)

لماذا هدي الرسول صلى الله عليه وسلم

ترتفع الرؤوس اليوم كثيرا ، ويتطلع منظروا التربية في العالم الاسلامي الى فلاسفة التربية الغربية ، فهم الذين نظرو الى هذا العلم ، وقعدو قواعده ، ورسموا خطوطه العريضة ، و المؤلف الناضج و الكاتب الرصين ، هو الذي يدبج مقالة بالنقل عن علماء الغرب ، و التربية عند هولاء كعلم حديث النشأة ، انما

بدأ مع العصر الحديث : عصر النهضة و التقدم العلمي ونحن أذ لاننكر ما بذله علماء الغرب من جهود في هذا العلم و غيره ، ولانغلو وندعو المسلم الى هجر و رفض جميع ماعند أولئك , نحن اذ لانقف هذا الموقف _ فلسنا بحال مع من يدعو الامة الى ان نختزل تاريخها , وتطوي صفاته فتغض الطرف جهلا او تجاهلا , وتهيل الركام على تراثها الحق .لقد بعث الله نبيه صلى الله عليه وسلم في امة سيطر عليها الجهل . واستولت عليها الخرافة . فصنع بأذن الله منها امة حاملة للهداية البشرية اجمع . امة حاملة منهج العلم . ومنهج التعليم

و التفقه.لقد وصف الله سبحانه و تعالى نبيهة محمد صلى الله عليه و سلم بأنه معلم فقال

((هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم و يعلمهم الكتاب

و الحكمة وأن كانوا من قبل لفي ضلال مبين)) (الجمعة ٢)) وامتن على المؤمنين بذلك فقال (لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب و الحكمة و أن كانوا من قبل لفي ضلال مبين) (أل عمران ١٧٤) وقال (كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا و يزكيكم و يعلمكم الكتاب و الحكمة و يعلمكم ما لم تكونوا تعلمون) (البقرة ١٥١) وما اجمل ذلك الوصف . وابر هذا القسم الذي صدر منهم معاوية بن الحكم السلمي (فبأبى وأمي رسول الله صلى الله عليه وسلم . مارات معلما احسن تعليما ولا تأديبا منه) .

بل وهل يظن مسلم ان يوجد اسمى واعلى واشرف منه صلى الله عليه وسلم معلما و مربيا . بل وهل يظن ظان ان سيرد مشرب التعليم و التربية من غير حوضه او يدخل الى مساحة البناء دون بابه .

فما احوجنا معاشر المعلمين و المربين الى التماس هدية صلى الله عليه و سلم . وهل ثمة رمز نتطلع اليه . وموجه نتلقى منه غيرة ؟ (الدويش ،١٩٩٥ ص٢٢_٢٣) ان الله انزل القران على رسوله ليهدي الناس و الهداية من اعظم انواع التربية (وكذلك اوحينا اليك روحا . ماكنت تدري ما الكتاب و لا الايمان . و لكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا . و انك لتهدي الى صراط المستقيم) (الشورى ٥٢)

و انزله عليه ليبلغ الناس و التبليغ من اوضح اشكال التربية و التعليم :

(يايها الرسول بلغ ما انزل اليك ، و ان لم تفعل فما بلغت رسالته) (المائدة٦٧) . فكان رسول الله صلى الله عليه و سلم مربيا عظيما , ذا اسلوب تربوي فذ ، يراعي حاجات الطفولة و طبيعتها . ويامر مخاطبة الناس على قدر عقولهم أي يراعي الفروق الفردية بينهم . كما يراعي طبائعهم و مواهبهم و استعداداتهم . ويلتمس دوافعهم الغريزية ليشبعها وليصعدها فيجود بالمال لمن يحب المال حتى يتألف قلبه . ويقرب اليه من يحب المكانة و الجاه . وهو في ذلك كله يدعوهم الى الله وتطبيق شريعته لتكميل نظرتهم وتهذيب نفسهم . وتوحيد نوازعهم و قلوبهم و توحيد طاقاتهم و حسن استغلالها للخير و السمو. (نحلاوي ١٩٨٢ . ص٢٧)

ومن ثم هذه محاولة لتلمس بعض معالم هدية صلى الله عليه وسلم في مجال مراعاته الفروق الفردية بين صحابته رضوان الله عليهم اجمعين .

و موضوع الفروق الفردية من أهم موضوعات علم النفس التربوي و آن إهمال الفروق الموجودة بين الأطفال او الكبار في المدارس او في الحياة العامة ، وعلى مختلف ضروب النشاط فيها ، يضر ضررا كبيرا بالافراد الذين نتعامل معهم وبالمجتمع الذي يضمهم ، اننا لانستطيع ان نضع الفرد المناسب في المكان المناسب دون الاعتماد على معرفة علمية بجوانب شخصيته (الاولوسي ، ١٩٨٨. ١١) .

اننا نجد الان ان الاهتمام بالفروق الفردية في العصر الحديث قد تأخر قياساً للموضوعات الاخرى من موضوعات علم النفس و حقوله ، حيث لم يكن ذلك الا في اواخر القرن الماضي عندما نشر (بينت Binet) و (هنري Henery) عام ١٨٩٥ مقالة بعنوان (علم النفس الفردي) قدما فيها اول تحليل لاغراض و مجال و مناهج علم النفس الفارق (الالوسي ، ١٩٨٨. ٢٣)

ونحن نجد ان الرسول صلى الله عليه وسلم قد سبق العلم الحديث في مراعاة الفروق الفردية بين الناس وتعامل معهم كل حسب قدراته و قابليته و استعداداته قبل اكثر من الف و خمسمائة عام . انطلاقا من قوله تعالى (لايكلف الله نفسا الا و سعها) (البقرة اية ١٨٦) .

* هدف البحث :.

يهدف البحث الى تعرف اسلوب و طرائق الرسول صلى الله عليه و سلم في التعامل مع الفروق الفردية بين صحابته رضوان الله عليهم اجمعين و كيفية تطبيق ذلك في تربيتنا الحديثة .

حدود البحث :.

يتحدد البحث بما ورد في الادبيات عن اساليب و طرائق معاملة الرسول صلى الله عليه وسلم لصحابته رضوان الله عليهم اجمعين في حوادث و مواقف متنوعة في مجال مراعاة الفروق الفردية .

تحديد المصطلحات :.

١_ الفروق الفردية :

ان الفروق الفردية ظاهرة عامة في مختلف مظاهر الشخصية ، حيث ان كل انسان كائن فريد متميز بذاته ، وهو لايمكن ان يكون كذلك الا اذا اختلف عن الاخرين

و بالطبع فأنه يتشابه معهم في بعض النواحي ، الا اننا لو تناولنا النمط الكلي لخصائصه نجده مختلفا عنهم .(فؤاد، ١٩٧٨ ، ٧)

الفصل الثاني

□ الفروق الفردية في القران الكريم و السنة النبوية :.

لاينكر اختلاف الناس في ذكائهم و مواهبهم وفي ميولهم و قدراتهم فمنهم الذكي و الغبي و النابه و الغافل . واذا اهملنا الفروق التي بينهم و حاولنا تربية الجميع بأسلوب واحد ادى ذلك الى ضياع الجهد وعدم تحقيق الفائدة المتوخاة . لان الذكي المجد اذا لم يقدم له مايحتاج الى التفكير ومايتناسب مع مستوى ذكائه فأنه يشعر بالملل وينحرف عن الدرس ، كما ان متوسط الذكاء اذا قدم له مايصعب عليه فهمه فأنه يشعر بالاحباط ويتعذر عليه متابعة العلم .

وقد امر الله تبارك وتعالى بأن تكون الدعوة و التربية المناسبة لاحوال الناس ومراعية الفروق التي بينهم :. (ادع الى سبيل ربك بالحكمة و الموعظة الحسنة و جادلهم بالتي هي احسن ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله و هو اعلم بالمهتدين) (النحل :١٢٥)

وهذا يعني مخاطبة الفلاسفة و المفكرين بالحكمة عد دعوة العوام و الجهلة بأسلوب الوعظ و الارشاد ، ودعوة المثقفين و المتعلمين بأسلوب الجدال الحسن الذي يعتمد على ماليهم من العلوم ، ويؤدي الى النتيجة المتوخاة . (عمر ،٢٠٠٠، ٣٣٥) .

والمتصفح للقران الكريم يجد العديد من الايات الكريمة المؤكدة لوجود فروق فردية بين نبي البشر في قواهم و قدراتهم الجسمية و العقلية و العاطفية و الروحية وفي حظهم من قوة البدن و العقل ومن العلم و الايمان و الخلق و الرزق فألايات الكريمة تؤكد أن الناس مقامات و درجات ، فمنهم القوي و منهم الضعيف ومنهم العالم ومنهم الجاهل ، ومنهم الغني و منهم الفقير ومنهم المؤمن الصادق و منهم الكافر

المنافق ، ومنهم المحسن و منهم المسئ ، ومنهم الشاكر لنعم الله ومنهم الكافر ، ومنهم من يقع بين الطرفين في صفة من الصفات السابقة . (الشيباني ، ١٩٨٦ ، ١٠٧)

ومن هذه الايات يمكن ذكر مايلي .

قوله تعالى ((وقال لهم نبيهم أن الله قد بعث لكم طالوت ملكا ، قالوا انى يكون له الملك علينا ونحن احق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال ، قال ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم و الجسم والله يؤتي ملكه من يشاء و الله واسع عليم)) (البقرة : ٢٤٧) .

وقوله تعالى ((وهو الذي جعلكم خلائف في الارض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم في ما اتاكم)) (الانعام :١٦٥)

وقوله تعالى :(والله فضل بعضكم على بعض في الرزق) (النحل :٧١)

وقوله تعالى :(قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ولكن اكثر الناس لايعلمون) (سبأ:٣٦)

وقوله تعالى ((... نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات)) (الزخرف :٣٢)

وهذا التفاضل الموجود بين بني البشر يشملهم بما في ذلك الانبياء و الرسل منهم .

يقول تعالى ((تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض ، منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات ، واتينا عيسى ابن مريم البينات وايدناه بروح القدس). (البقرة :٢٥٣)

ولاختلاف الناس في امكانياتهم المادية و المعنوية ، فأن التكاليف الشرعية جاءت مراعات للفروق الفردية بين الناس ، بحيث لايكلف الله انسان بما يستطيع ويقدر , يقول تعالى ((لايكلف الله نفسا الا وسعها لها ماكسبت وعليها ما اكتسبت) (البقرة :٢٨٦)

ويقول جل من قائل ((والذين امنوا و عملوا الصالحات ، لانكلف نفسا الا وسعها ، أولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون)) (الاعراف :١٣٣) و الناس لايختلفون في درجاتهم و تعاملهم في هذه الدنيا فقط ، بل هم يختلفون في هذه الدرجات و المقامات في الاخرة أيضا .

(وأنظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللاخرة اكبر درجات و اكبر تفضيلا) (الاسراء : ٢١)

((ومن كان في هذه اعمى فهو في الاخرة اعمى واضل سبيلا)) (الاسراء :٧٢)

و يلاحظ ان العمى هنا هي عمى البصيرة .

وقد سبق الرسول صلى الله عليه وسلم كبار المربين الى العمل بهذا المبدأ . فكان يخاطب كل قوم على قدر عقولهم . ويؤتيهم من الحكمة ما يتناسب مع افهامهم وينهي عن تكليم الناس بما لايفهمونه ولايتصورون حقيقته . وفي ذلك قوله ((نحن معاشر الانبياء ، امرنا ان ننزل الناس منازلهم ونكلمهم على قدر عقولهم))

((كلمو الناس بما يعرفون ، ودعوا ما ينكرون ، اتريدون ان يكذب الله ورسوله))

((ما حدث احدكم قوما بحديث لايفهموه الا كان فتنة عليهم))

فالعلم جوهرة ثمينة لايعلم قدرها الاخبير الجواهر ، وهو الذي يصونها ويزين بها من يستحقها . وهذا ما عناه الرسول صلى الله عليه وسلم حين قال ((لاتعطو الحكمة غير اهلها فتظلموها ، ولاتمنعوها اهلها بفتظلموهم))

وعن انس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال :

((وواضع العلم عند غير اهله كمقلد الخنازير الجوهر و اللؤلؤ و الذهب))

ومعنى هذا الكلام ان الاسلام أقر مبدأ الفروق الفردية بين الاشخاص و الافراد او بمعنى اخر أقر مبدأ الاهتمامات المختلفة فما اهتم به انا ليس بألضرورة ان تهتم به انت وما يهتم به ولدي وهو غير الذي اهتم به مع وجود قاعدة اساسية بهذه الاهتمامات و الاختلافات

وان كان هذا الكلام ينطبق على المجتمع المسلم كله فهو كذلك ينطبق على الاسرة المسلمة فما اهتم به انا غير الذي تهتم به زوجتي فلذلك كان لازما على كل مسؤول عن اسرة ان ينتبه لهذه الفروق ولايحولها الى نقطة خلاف تسئ لحياته وحياة من حوله . (البريجاوي ، ٢٠٠٤ ،ص٢)

ان القدوة العظمى عليه الصلاة و السلام اهتم بهذه الفروق الفردية وبينها وتعامل معها تعاملا ايجابيا وحولها من نقطة خلاف الى نقطة تربية و توعية فمرة كما في صحيح البخاري عن انس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم عند بعض نسائه (صرح غير البخاري بأنها عائشة (رضي الله عنها) فأرسلت احدى امهات المؤمنين وهي ام سلمة (رضي الله عنها) بصحفة فيها طعام فضربت التي النبي (صلى ىالله عليه وسلم) في بيتها يد الخادم فسقطت الصحفة فأنفلقت فجمع النبي (صلى الله عليه وسلم) فلق الصحفة ثم جعل يجمع فيها الطعام الذي كان في الصحفة ويقول غارت امكم ثم حبس الخادم حتى اتى بصفحة من ةعند التي هو في بيتها فدفع الصفحة الصحيحة الى التي كسرت صحفتها وامسك المكسورة في بيت التي كسرت . (البخاري)

و النبي صلى الله عليه وسلم في تعامله مع هذه الحادثة يعلمنا طريقة للتعامل مع فارق فردي موجود عند النساء بكثرة انه الغيرة و التعامل بحكمة مع شئ من التجاهل .

وكذلك كانت طريقة تعامله عليه السلام مع الاطفال مراعاة منه لهذه الفروق فكان يحمل الحسن و الحسين وهو في الصلاة كما رواه الامام احمد عن ابي هريرة قال كنا نصلي مع الرسول (صلى الله عليه وسام) العشاء فأذا سجد وثب الحسن و الحسين على ظهره فأذا رفع رأسه أخذهما بيده من خلفه اخذا رفيقا ويضعهما على الارض فأذا عاد عادا حتى اذا قضى صلاته أقعدهما على فخذيه . (البريجاوي ،٢٠٠٤،ص٢)

و الرسول صلى الله عليه و سلم كان يختار لكل مقال مقام الذي يلائمه . ولكل مدعو الاسلوب الذي يناسبه ، ومن اساليبه صلى الله عليه وسلم مراعاته لجوانب الشخصية عند المدعوين ، وهذا من الحكمة التي نحن بصدد الحديث عنها ، لما لهذا الاسلوب من تأثير في النفوس وتطيب لها وانشراح

الصدور وتفتح العقول و سرعة استجابة للحق ، اذ كان يخاطب الناس على قدر عقولهم وافهامهم ومكانتهم فكان يدخل الى قلوبهم من الجوانب التي امتازوا وبرعوا فيها ، وهذا الحسنة مدعاة للاستجابة ، فعلى سبيل المثال صاحب الجاه الذي يرعى اهتماما به يطمئن الى المحافظة على جاه . و القائد الشجاع الذي يرى ان مكانه مراعى عند من يدعوه . لايوجد ما يضر ه للنفر منه وهكذا .

فلذلك كان الرسول صلى الله عليه وسلم كان ينتقي نماذج من الاشخاص متميزون بمؤهلات وصفات خاصة تتوافق وطبيعة العمل الذي يسند اليه .

أو اسناد عمل لشخص معين لوجود ترابط بين بعض جوانب شخصيته و طبيعة هذا العمل ، يعني ان المكلف ربما يكون هنالك من هو اكثر صلاحا وتقوى وامانة ، وابر و في مؤهلاته في جوانب عديده من امور الحياة و الدين ، لكنه قد برع واشتهر في جانب معين اكثر من غيره فوقع عليه الاختيار . ليحقق الاداء المطلوب و النتائج المرجو ة في هذا الجانب الذي برع فيه .

(العاني . ٢٠٠٠ ،ص٥٩_٦٠)

ويرى شيخ الاسلام ابن تيمية انه اذا تعين رجلان احدها اعظم امانة و الاخر اعظم قوة قدم انفعهما لتلك الولاية و اقلهما ضررا فيها فيقدم في امارة الحروب الرجل القوي الشجاع وان كان فيه فجور على الرجل الضعيف العاجز وان كان امينا ، كما سئل الامام احمد ابن حنبل عن الرجلين يكونان في الغزو و احدها قوي فاجر و الاخر صالح

ضعيف مع ايهما يغزى ؟ قال اما القوي الفاجر ففقوته للمسلمين وفجوره على نفسه ، و اما الصالح فصلاحه لنفسه و ضعفه على المسلمين .

يقول ابن تيمية لهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يستعمل خالد ابن الوليد منذ اسلم وقال ((ان خالد سيف سله الله على المشركين)) وكان ابو ذر رض الله عنه اصلح منه في الامانة و الصدق ومع ذلك فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ((يابا ذر اني اراك ضعيفا و اني احب لنفسي ، لاتأمرن على اثنين ولاتولن مال اليتيم)) (العاني ، ٢٠٠٠ ،ص٦٠)

□ مراعاته لجانب القوة و الشجاعة :.

قال ابن اسحاق : كان ركانه بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب من اشد قريش قوة فخلا يوم برسول الله صلى الله عليه وسلم ، في بعض شعاب مكة فقال له رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ((ياركانة الا تتقي الله وتقبل ما ادعوا اليه)) . قال اني لو اعلم ان الذي تقوله حق لاتبعتك فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) (أفرايت ان صرعتك أتعلم ان ما أقوله حق) . قال : نعم ، قال ((فقم حتى اصارعك) . فقام ركانه أليه فلما بطش به رسول الله (صلى الله عليه وسلم) واضجعه حتى لايملك لنفسه شيئا ثم قال : عد يا محمد فعاد فصرعه . فقال : يامحمد والله ان هذا للعجب !تصرعني !؟ قال : واعجب من ذلك ان شئت اريكه ان اتقيت الله واتبعت امري !؟ قال وما هو قال (ادعو لك هذه الشجرة التي ترى فتأتيني) . قال : فأدعها ، فدعاها فأقبلت حتى وقفت بين يدي رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقال

لها ارجعي مكانك فرجعت الى مكانها قال : فذهب ركانه الى قومه فقال ((يابني عبد مناف سامروا بصاحبكم اهل الارض فو الله مارأيت اسحر منه قط ثم اخبرهم بالذي راى و الذي صنع)) .

ان رسول الله صلى عليه وسلم كان يعلم لن ركانة معجب بقوته و عدم قدرة احد على صرعه ، فأتاه من الباب الذي يشغل حيزا كبيرا من تفكيره وتكوين شخصيته ولكي يبقى هذا الموقف حيا مدى الايام حتى يبصر الحق ويسلم لله . (العاني ، ٢٠٠٠، ٣٢)

ومن مراعاته لجانب حب الفخر و الرئاسة الذي يلاحظه عند البعض كملاحظته لذلك عند ابي سفيان بن حرب و قوله عند فتح مكة : من دخل دار ابي سفيان فهو امن ، مع ان هذه الصفة منهي عنها في الاسلام ، الا ان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) اراد أن يشبع فيه عاطفة الفخر ، كي يتخذ منه مفتاح امان يفتح امامه الطريق الى مكة دون أراقة الدماء ويستميله ويؤلف قلبه بهذا ، وحتى يشعر بأن مكانته و منزلته بين قومه ستبقى كما هي لو اسلم . (العاني ، ٢٠٠٠ ، ٣٣)

كان الرسول (صلى الله عليه وسلم) خبيرا بنفوس اصحابه وقابليتهم عارفا بقدراتهم وامكانتيهم : لذلك قد يأمر احدهم بما لايأمر به الاخر ، ويقر واحدا على عمل لايقر به الثاني مثال ذلك مارواه عوف بن مالك الاشجعي قال كنا عند رسول الله صلى عليه وسلم تسعة او ثمانية او سبعة

فقال : الا تبايعون رسول الله فقلنا قد بايعناك يارسول الله ، ثم قال ((الاتبايعون رسول الله)) ؟ فقلنا قد بايعناك يارسول الله ، ثم قال ((الاتبايعون رسول الله)) ؟ قال فبسطنا أيدينا وقلنا قد بايعناك يارسول الله فعلام نبايعك ؟) قال على ان تعبدوا الله ولاتشركوا به شيئا ، و الصلوات الخمس ، وتطيعوا ، وأسر كلمة خفية ، ولاتسألوا الناس شيئا فقد رأيت بعض أوليك النفر يسقط سوط احدهم فما يسأل احدا يناوله أياه (العاني ، ٢٠٠٠ ص٦٧) .

كذلك أقر ابا بكر على التصدق بجميع ماله ، وأقر عمر على التصدق بنصف ماله ، ولم يقر سعد بن ابي وقاص الابالتصدق بثلث ماله وكذلك فعل مع كعب بن مالك

وهنالك أستثمار أخر للفروق الفردية بين الصحابة وهو جانب الحيوية و الطاقة فقد كان الرسول (صلى الله عليه وسلم) حريصا على أستثمار هذا الجانب المهم .

في شتى المجالات و المواقف المختلفة . ففي الوقت الذي يختار لابن ام مكتوم عملا يلائمه كأعمى فيخلفه أميرا على المدينة ، يستثمر طاقات الشباب الذين هم عماد الأمة وسر نهضتها ويحرص على الاستفادة من حيويتهم ونشاطهم وحدة ذكائهم ، وقوة أبدانهم واندفاعهم وحماسهم وكان جل أصحابه ومستشاريه ودعاته منهم ، كمصعب بن عمير ممثله في المدينة وأسعد بن زرارة بن أبي أوفى احد النقباء من الانصار ، وسعد بن خيثمةومعاذ بن جبل وما تأمير اسامة علىكبار الصحابة منا ببعيد .

ومثلما كان يشتثمر طاقات الشباب كان يستثمر مواهب الاشخاص في الوقت المناسب فأستثمر ذكاء زيد بن ثابت وقوة حفظه في تعلم لغة اليهود فتعلمها في سبعة عشر يوما واستثمر صوت العباس القوي . حيث كان يسمع صوته من بعد ثمانية اميال في يوم حنين حيث نادى اصحاب السمرة ما ان

سمعوا صوته حتى عطفوا على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عطفة البقرة على اولادها كما يقول العباس (رضي الله عنه) . (العاني ،٢٠٠٠ ،ص٦٨)

ومن أستثماره (صلى الله عليه وسلم) للفروق الفردية بيم الصحابه رضوان الله عليهم اجمعين أستثماره لحسان بن ثابت حيث كان يهجو قريشا بالاستعانة بأبي بكر الصديق ليعلمه أنساب قريشا وكان ذا معرفة واسعة بالانساب وحتى لايناله الهجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكي يطلعه على مثالبهم .

كذلك كان رسول الله يخاطب اهل العلم و المهتمين به بما يناسبهم ويشعرهم بنفي الجهل عنهم وعنه فيكون ذلك مدعاة لانشراح صدورهم وشعورهم بمدى اهتمام الرسول(صلى الله عليه وسلم) وحتى لاتأخذ صاحب العلم منهم العزة والتعالي بعلمه (العاني ،٢٠٠٠،ص٦٦)

من هذا نفهم ان من اهم عوامل نجاح المعلم في العملية التعليمية معرفته لخصائص نمو الطالب النفسي والعقلي والوجداني و الاجتماعية كما ان الطلاب ليسوا جميعا على نسق ومستوى واحد من الاستعدادات و الميول والقدرات و الاتجاهات ، اذ ان منهم من هو متوقد الذهن قوي الذكاء ألمعي سريع البديهية ومنهم من هو أقل من ذلك و التعليم للجميع بالاسلوب نفسه و الطريقة ذاتها يعد اجحافا في حقهم نظرا للفروق الفردية بينهم ويعتبر مبدأ مراعاة الفروق الفردية . بين الطلاب من اصول التربية في الاسلام . (النجار ، ١٩٩٩ ،ص٩٢) .

لذلك علينا التأسي بسيرة الرسول (صلى الله عليه وسلم) العطرة وكيفية تعامله مع صحابته رضوان الله عليهم أجمعين وأدراكه للفروق الفردية فيما بينهم وكيفية استغلال وأستثمار هذه الفروق فيما يفيد الفرد نفسه ومجتمعه .

الفصل الثالث

نظرة المربين المسلمين للفروق الفردية

فقه المربون المسلمون سيرة الرسول (صلى الله عليه وسلم) وكيف وجهه اصحابه التوجيه الصحيح في كل مفردات حياتهم ومنها تعامله (صلى الله عليه وسلم) مع صحابته رضوان الله عليهم اجمعين في مجال الفروق الفردية . وفيما يلي بعض النماذج من توجيهات المربين المسلمين في هذا المجال .

فأبن مسكوية في كتابه ((تهذيب الاخلاق)) يقول (وانت تتأمل في اخلاق الصبيان وأستعداداتهم لقبول الادب او نفورهم عنه ، وما يظهر في بعضهم من الحكمة وفي بعضهم من الحياء ، وكذلك ما نرى فيهم من الجود والبخل والرحمة والقسوة و الحسد وضده ، ومن الاحوال المتفاوته ، ما تعرف مراتب

الانسان في قبول الاخلاق الفاضلة وتعلم معه انهم ايسوا على مرتبة واحدة ، وان فيهم المواتي والممتنع ، والسهل السلس ، و الخير و الشرير و المتوسطين في هذه الاطراف في مراتب لاتحص كثيرة (ديماس ،١٩٩٩ ،ص١٠٧)

وقال الغزالي في مراعات الفروق الفردية في الذكاء بقوله (ويجب على المعلم ان يشخص طبيعة المبتدئ من الذكاء و الغباء ، ويعلمه على مقداره ، فأذا كلف الزيادة يئس عن تحصيل العلم وحينئذ يتبع الهوى ويشكل تعلمه ولايشرك الذكي مع الغبي وهو تقصير في الذكي) (النجار ، ١٩٩٩ ، ص٩٢)

وكذلك أشار الغزالي في موضع أخر فقال (ويجب على المعلم أن يعلم كل نوع من المتعلمين بما يبلغ عقله ويدرك ذهنه ، كما قال النبي (صلى الله عليه وسلم)

(كلموا الناس على قدر عقولهم) ويحدث الناس بما يفهم القلوب سهلا بلا مشقة)

(النجار ،١٩٩٩ ،ص٩٠)

اما أبن خلدون فيرى ان التكرار ثلاثة في التعليم تزيد من ثباته في عقل المتعلم في ثلاثة تكرارات ، وقد يحصل لبعضهم في اقل ذلك بحسب ما يخلق به وتيسيرا عليه

(النجار ، ١٩٩٩ ، ص٩٢)

اما الامام النووي فقد بين أن الناس يختلفون في قدراتهم على التعلم و التذكر وأن الفروق الفردية بينهم واضحة في هذه القدرة ، فكل فرد في نظر النووي فريد من نوعه له نمطه الخاص من القدرات العقلي فينصح المعلم بأن (يكون باذلا وسعه في تفهيم وتقريب الفائدة الى اذانهم حريصا على هدايتهم ، ويضم كل واحد بحسب فهمه وحفظه ، فلا يعطيه مالايحتمله ولايقصر به عما يتحمله بلا مشقة ، ويخاطب كل واحد على قدر درجته وبحسب فهمه وهمته ، فيكتفي بألاشارة لمن يفهمها فهماً محققاً ويوضح العبارة لغيره ويكرر لمن لايحفضها ألا بتكرار ، يذكر الاحكام موضحة بألامثلة) . (المشايخي ،٢٠٠٤ ، ص١٤٧)

ويرى أبن قيم أن الناشئة يختلفون فيما بينهم ، من حيث القدرات و الاستعدادات وانه يجب مراعاة ذلك عند توجهم الى تحصيل العلوم المختلفة اوتعليم الحرف و المهن و الاعمال المتباينة فقال (ربما ينبغي ان يعقد حال الصبي ، وما هو مستعد له عن الاعمال مهيأ له منها ، فيعلم انه مخلوق له ، فلا يحمله على غير فانه ان حمل على غيره ماهو مستعد له لم يفلح فيه ، وفاته ما هو مهيأ له (المشايخي ، ٢٠٠٤ ،ص١٩٦)

اما الخطيب البغدادي فيقول (أعلم ان القلب جارحة من الجوارح تحتمل أشياء وتعجز عن أشياء كألجسم الذي يحتمل عند بعض الناس أن يحمل مأئتي رطل ، ومنه من يعجز عن عشرين رطلا ، كذلك منهم من يمشي فراسخ في يومه لايعجزه ، ومنهم من يمشي بعض ميل يضر ذلك به ، ومنهم من يأكل الطعام ، رطلا ومنه من يتخمه الرطل فما دونه) .(المشايخي، ٢٠٠١ ،٩٨)

وقول ابى الحسن القابسي لمن سأله عن أستعمال الطريقة الجماعية في تحفيظ القرأن الكريم ((و سألت هل للصبيان الصغار أو الكبار البالغين أن يقرءوا في سورة واحدة وهم جماعة على وجه التعليم فأن

كنت تريد يفعلون ذلك عند المعلم فينبغي على المعلم أن ينظر فيما هو أصلح لتعلمهم ، فليأمرهم به ، ويأخذ عليهم منه لأن أجتماعهم في القراءة بحضرته يخفي عنه قوى الحفظ الضعيف ، ولكن أن كان على الصبيان من ذلك خفة فيخبرهم انه سيعرض كل واحد منهم في حزبه)

ومن امثلة مراعاة المعلم للفروق الفردية بين طلبته ما بينه الشيخ عبد الباسط العلوي فقال (ومن ذلك ان يكون حريصا على تعليم الطلبة ، مهتما بذلك مؤثراً ذلك على حوائجه ومصالحه ويفهم كل واحد بحسب فهمه ولايبسط له الكلام بسطا لايظبطه حفظه ، ولايقصر به عما يحتمله بلا مشقة ويخاطب كلا على قدر درجته وفهمه وهميته فيكتفي للحاذق بالاشارة ويوضح لغيره بالعبارة ، ويكررها لمن لايفهمها ألا بالتكرار ، ويبدأ بتصوير المسألة ثم يوضحها بالامثلة ويقتصر على ذلك من غير دليل ولاتعديل فأن سهل عليه الفهم فيذكر له الدليل و التعليل ، و الماخذ منه و المدرك ويبين الدليل المعتمد ليعتمد ، و الضعيف لئلا يغتر به ويعتقد ، ويبين أسرار حكم المسألة وعللها بتوجيه الاقوال . (الشيباني ، ١٩٨٦، ص٤٤٤)
وقال ابن سيناء في كتابه (القانون)

وعلى المؤدب أن يبحث له عن صناعة ، فلا يجبره على العلم اذا كان غير ميال اليه ، ولايتركه يسير مع الهوس ، اذ ليس كل صناعة يرومها الصبي ممكنة له مواتية ، لكن ماشاكل طبيعته ، وناسبه ، وانه لوكانت الاداب و الصناعات تجيب وتنقاد بالطلبة دون المشاكلة و الملاءمة ، اذن ماكان احدا غفلا من الادب وعاريا من صناعته ،وأذن لجمع الناس على أختيار أشرف الصناعات) (النحلاوي ،٢٠٠١ ،ص١١٢)

اما ابو حيان التوحيدي فيقول عن أبي العباس (الناس في العلم ثلاث درجات ، فواحد يلهم فيعلم ، فيصير مبدا و الاخر يتعلم ولايلهم فهو يؤدي ما قد حفظ ، والاخر يجمع له بين ان يلهم وأن يتعلم ، فيكون بقليل ما يتعلم مكثرا بقوة مايلهم)

الخاتمة: .

من هذا يتبين ان الحكمة الاهية أقتضت الايخلق الناس متشابهين كنسخ مكررة وانما خلق الناس متفاوتيين مختلفيين في كل شئ ولايوجد اثنان متطابقين تماما حتى التوائم .

فثمة أختلاف ولابد بين كل أثنين من /البشر/ في الصفات الجسمية و الخصائص النفسية ، وحتى مع افتراض حدوث تشابه كامل في الاجسام و الاشكال فالنفوس و خصائص الشخصيات يستحيل ان تتطابق ... ألا بقدر ما تتطابق البصمات .

و الاختلاف يمثل القاعدة , نظرا لتفوات الظروف الوراثية البيئية التي يعيش في أطار تأثيرها البشر ، لذا فأن المداخل الى التأثير في الشخصيات تتعدد ، وما يصلح لفرد من أساليب التعامل _ مع الاحتفاظ بألمبادئ العامة قد لايصلح لفرد أخر ، وهذا ما رأيناه في أساليب الرسول (صلى الله عليه وسلم) في تعامله مع الفروق الفردية بين صحابته رضوان الله عليهم اجمعين .

لذلك فأن على المربي الحاذق ان يتنوع في أساليبه التعليمية و التوجيهية للطلاب كل حسب قدرته ومهارته و مستواه العقلي اضافة الى ثمة فروق اساسية بين الجنسين لأبد من مراعاتها في هذا المجال .

وقديما قال معاوية بن ابي سفيان (أنا لاأضع سيفي حيث يكفيني سوطي ، ولا أضع سوطي حيث لايكفي لساني) .

المصادر :.

١_ الالوسي ، جمال الدين حسين ، (١٩٨٨) الاسس النفسية لاراء الماوردي التربوية ، مطبعة بغداد .

٢_ البريجاوي ، عبد اللطيف (٢٠٠٤) مراعاة الفروق الفردي في الاسرة ، موقع صيد الفوائد ، الانترنيت.

٣_ الدويش ، محمد بن عبد الله (١٩٩٥) المدرس ومهارات التوجيه ،ط٢، دار الوطن ، الرياض .

٤_ ديماس ، محمد ،(١٩٩٩) سياسات تربوية خاطئة ، (حزم ، بيروت لبنان)

٥_ الزوبعي ، عبد الجليل ابراهيم (١٩٩٥) الفروق الفردية ، جامعة بغداد ، مركز البحوث التربوية و النفسية ،

٦_ الشيباني ، عمر محمد التوحيدي ، (١٩٨٦) فلسفة التربية الاسلامية ، ط٦، طرابلس ، ليبيا .

٧_ العاني ، زياد (٢٠٠٠) اساليب التربية في السنة النبوية

٨_عمر ، عمر احمد ، (٢٠٠٠) فلسفة التربية في القرأن الكريم ، دار المكتبي ، دمشق سوريا

٩_ فؤاد ، ابو حطب ، (١٩٧٨) القدرات العقلية ، مكتبة الانجلوا في مصر ، ط٢ ،بيروت ، لبنان

١٠_ المشايخي ، اركان سعيد ،(٢٠٠٤) الفكر التربوي العربي الاسلامي ، لدى الرازي ، والنووي وابن القيم الجوزي ، اطروحة دكتوراه ، غير منشورة ، كلية التربة / ابن رشد .

١١_ المشايخي، اركان سعيد ،(٢٠٠١) الفكر التربوي لدى الخطيب البغدادي رؤية معاصرة ، رسالة ماجستير ، غير منشور ، كلية التربة / ابن رشد .

١٢_ النحلاوي ، عبد الرحمن ،(١٩٨٢) التربية الاسلامية و المشكلات المعاصرة ، مكتبة اسامة الرياض.

١٣_ النجار ، يوسف محمد ،(١٩٩٩) المنهج التربوي للعلماء والربيين المسلمين ، بيروت لبنان .

١٤ _النحلاوي ،عبد الرحمن (٢٠٠١) أصول التربية الأسلامية و أساليبها في البيت و المدرسة ة المجتمع.